المحاضرة 24 : النظم السياسية في غرب افريقيا :تجربة النظم الافريقية القديمة في الحكم والسياسة من أقدم الموروثات السياسية فى العالم، وذلك لما يملكه هذا الإرث من قواعد فلسفية شكلت إرثا عرفيا فى الحكم والسياسة تقود وتوجه المركب المفاهيمى لتجربة الحكم والسياسة فى أرجاء القارة فى غياب الحدود السياسية، وفى ظل وجود المقومات اللغوية والأنماط المؤسساتية البسيطة التى عاشتها المجتمعات الإفريقية القديمة، فعلىسبيل المثال شعب “البانتو” كان يتنقل عبر جبال إفريقيا الوسطى إلى شعب “الهامتيك” مهاجرا ومتنقلا إلى شرق القارة، يكون مجتمعات جديدة ويؤسس أنماطه السياسية ومؤسساته التى يحتاج إليها وفق ما تقتضيه الحاجة والمكان والزمان.

كانت القبائل الإفريقية تختار الفضاء الذى يحقق لها الاستقرار والعيش فى عدل ومساواة وحرية ومن ثم تختار أشكالها السياسية وتؤسس قوانين وأعراف مجتمعاتها، وبهذه الآليات البسيطة كانت المجتماعات الافريقية القديمة تؤسس لمفاهيم الديمقراطية المباشرة لإدارة شئونها، وبدون الإعلان عنها، فكانت هناك مؤسسة الجيرونتوقراطية الإفريقية العريقة وهى أول مؤسسة لممارسة الحكم والسلطة فى التاريخ السياسى، ألا وهى حكم الشيوخ أو حكم الكبار ذوى الحكمة والخبرة والحنكة.

ولقد كانت تلك النماذج السياسية الإفريقية تعبر عن المضمون الفلسفى السياسى وكانت من ضمن مؤشرات للقيم الاجتماعية السائدة آنذاك التى أسست فعليا أنظمتها السياسية وشكلت بذلك القيم السياسية للقبائل الإفريقية، وإن المركب المفاهيمى والمعرفى لتجربة الحكم والسياسة فى إفريقيا يرشدنا أيضا إلى أن الشعوب الإفريقية القديمة طورت ذاتيا في التنوع البنائى والمؤسساتى لتجربة الحكم والسياسة فى إفريقيا، استنادا على فرضية أن الأفارقة قديما صنعوا وابتكروا طبيعة الجماعية الإنسانية وطبيعة التفاعل الاجتماعى وتأسيس العلاقة المطلوبة بين القوة والسلطة، من خلال تقاسم أهداف مشتركة وأساليب سياسية.

فالتنوع الذى شهدته تجربة الحكم والسياسة فى إفريقيا يقدم لنا نموذجا لكيفية صياغة الفكر السياسى فى ظل التنوع البيئى والجغرافى والثقافى والبشرى فى تقارب زمانى ومكانى، لذلك وفى إطار البحث عن الأنماط والنماذج للحكم والسياسة فى إفريقيا تخبرنا التجربة الجيرونتوقراطية الإفريقية بأن موضوعات الفكر السياسى الإفريقى القديم ترسخت فى نماذج وأشكال من خلال الشعب يختار ما يناسبه لترشيد وجهته، ومن حيث المدى والنطاق والتاريخ للفكر السياسى الإفريقى المهمش وأول هذه الموضوعات هى قضية الجماعية أو التعددية بمفهومها العصرى فى الفلسفة السياسية الإفريقية ويستمر التحليل إلى فحص فكرة المركزية وانتشار القوة السياسية ومحدودية استعمالاتها وضوابطها وأهمية علاقات التفاعل بين الدين والفلسفة السياسية من خلال النزعة الثقافية الإفريقية نحو العلاقات التبادلية والارتباطية بين العمر والحكمة والمعرفة، وإن مفهوم التعددية والجماعية يرتبط فى هذا السياق بذلك التنوع البنائى المؤسساتى لأنظمة الحكم والسياسة فى إفريقيا، وكذلك تنوع شعوبها.